

الإرادة ص : ٧

مسألة فى إرادة الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم لا يخلو تعالى جده أن يكون مریدا لنفسه أو بإرادة و لا يجوز أن يكون مریدا لنفسه لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون مریدا للحسن و القبيح و قد دل الدليل على أنه لا يريد القبيح و لا يفعله. و لا يجوز أن يكون مریدا بإرادة لأنها لا تخلو من أن تكون موجودة أو معدومة و لا يجوز أن تكون معدومة لأن المعدوم ليس بشيء و لا يوجب لغيره حكما. و إن كانت موجودة لم تخل من أن تكون قديمة أو محدثة فإن كانت قديمة وجب تماثلها للقديم تعالى و كذلك السوادان و البياضان فيجب تماثل القديمين كذلك. و أيضا فلو كان مریدا بإرادة قديمة لوجب قدم المرادات بأدلة قد ذكرت فى مواضعها. فلم يبق إلا أن يكون تعالى مریدا بإرادة محدثة و هذا باطل من حيث كانت الإرادة عند مثبتيتها عرض و الأعراض لا تقوم بأنفسها و لا بد لها من محال و لم تخل محل هذه من أن يكون هو أو غيره و محال كونه تعالى محل شيء من الأعراض لقدمه.

الإرادة ص : ٨

و لا يجوز أن يكون مریدا بإرادة محدثة تحل فى غيره لوجب رجوع حكمها إلى المحل و لا يصح أن يكون حكمها راجعا إلى محلها و يكون تعالى مریدا بها و وجودها لا فى محل غير معقول و إثبات ما ليس بمعقول يؤدى إلى الجهالات فثبت أنه مرید مجازا لا حقيقة فتأمل ذلك. تمت المسألة و الحمد لله وحده و صلواته على سيدنا محمد و آله الطاهرين علقها العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن الحسين بن العودى الأسدى الحلى تكملة قال الكراجكى رضوان الله تعالى عليه فى كنز الفوائد بيان صفات المجاز فأما الذى يوصف الله تعالى به و مرادنا غير حقيقة الوصف فى نفسه فهو كثير فمنه مرید و كاره و غضبان و راض و محب و مبغض و سميع و بصير و راء و مدرک فهذه صفات لا تدل العقول على وجوب صفته بها و إنما نحن متبعون للسمع الوارد بها

و لم يرد السمع إلا على اللغة و اتساعاتها و المراد بكل صفة منها معنى غير حقيقتها
القول فى المريد

اعلم أن المريد فى الحقيقة و المعقول هو القاصد إلى أحد الضدين اللذين خطرا بباله
الموجب له بقصده و إثارة دون غيره. و هذا من صفات المخلوقين التى تستحيل أن
يوصف فى الحقيقة بها

الإرادة ص : ٩

رب العالمين إذ كان سبحانه لا يعترضه الخواطر و لا يفتقر إلى أدنى روية و فكر إذ
كان هذا على ما بيناه فإنما معنى قولنا إن الله تعالى مريد لأفعاله أنها وقعت و هو عالم
بها غير ساه عنها و إنما لم يقع عن سبب موجب من غيره لها لأننا وجدنا القاصد منا
للشئ الذى هو عالم به غير ساه عنه و لا هو موجودا لمسبب وجب من غيره مريدا له
فصح إذا أردنا أن نخبر بأن الله تعالى يفعل لا عن سهو و لا غفلة و لا بإيجاب من غيره
أن نقول هو مريد لفعله و يكون هذا الوصف استعارة لأن حقيقته كما ذكرناه لا يكون
إلا فى المحدث. دليل و الذى يدل على صحة قولنا فى وصف الله تعالى بالإرادة أنه
سبحانه لو كان مريدا فى الحقيقة لم يخل الأمر من حالين إما أن يكون مريدا لنفسه
أو مريدا بإرادة فلو كان مريدا لنفسه لوجب أن يكون مريدا للحسن و القبيح كما أنه
لو كان عالما لنفسه كان عالما بالحسن و القبيح و إرادة القبيح لا تجوز على الله
سبحانه. و الكلام فى هذا يأتى محررا على المجبرة فى خلق الأفعال. فإذا ثبت أن الله
عز و جل لا يجوز أن يريد المقبحات علم أنه غير مريد لنفسه. و إن كان مريدا بإرادة
لم تخل الإرادة من حالين إما أن تكون قديمة أو حادثة و يستحيل أن تكون قديمة بما
بيناه من أنه لا قديم سواه عز و جل. و الكلام على المجبرة فى هذا داخل فى باب نفى
الصفات التى ادعت المجبرة أنه قديمة مع الله تعالى.

الإرادة ص : ١٠

و أيضا فلو كان الله سبحانه مريدا فيما لم يزل إما لنفسه و إما بإرادة قديمة معه

لوجب أن يكون مراده معه فيما لم يزل لأنه لا مانع له مما أَراده و لا حائل بينه و بينه و لكان ما يوجد من الأفعال لا تختلف أوقاته و لا يتأخر بعضه عن بعض لأن الإرادة حاصلة موجدة فى كل وقت و هذا كله موضح أنه عز و جل ليس بمريد فيما لم يزل لا لنفسه و لا لإرادة قديمة معه. و إذا بطل هذا لم يبق إلا أن يكون مريدا بعد أن لم يكن مريدا بإرادة محدثة و هذا أيضا يستحيل لأن الإرادة لا تكون إلا عرضا و العرض يفتقر إلى محل و الله تعالى غير محل للأعراض و لا يجوز أن تكون إرادته حالة فى غيره كما لا يجوز أن يكون عالما بعلم يحل فى غيره و قادرا بقدرة تحل فى غيره. و لا يجوز أيضا أن تكون لا فيه و لا فى غيره لأنه عرض و العرض يفتقر إلى محل يحملها و يصح بوجوده وجودها. و لو جاز أن توجد إرادة لا فى مريد بها و لا فى غيره لجاز أن توجد حركة لا فى متحرك بها و لا فى غيره. فإن قيل إن الحركة هيئة للجسم و ليس يجوز أن تكون هيئة غير حالة فيه قلنا و لم لا يجوز ذلك. فإن قيل لأن تغير هيئة الجسم مدرک بالحاسة فوجب أن يكون المعنى الذى يتغير به حالا فيه قلنا و كذلك المريد للشيء بعد أن لم يكن مريدا له قد يتغير عليه حس نفسه فوجب أن تكون إرادته تحله. فإن قيل بأى شيء من الحواس تحس الإرادة قلنا و بأى شيء من الحواس يحس الصداق. الإرادة ص : ١١

فإن قيل إن الإنسان يدرك ألم الصداق فى موضعه ضرورة قلنا فلم نركم أشرتم إلى حاسة بعينها أدركه بها. و لنا أن نقول و كذلك المريد فى الحقيقة يعلم بتغير حسه و يدرك ذلك من نفسه ضرورة

فصل من كلام شيخنا المفيد رضى الله تعالى عنه فى الإرادة

قال الإرادة من الله جل اسمه نفس الفعل و من الخلق الضمير و أشباهه مما لا يجوز إلا على ذوى الحاجة و النقص. و ذاك أن العقول شاهدة بأن القصد لا يكون إلا بقلب كما لا تكون الشهوة و المحبة إلا لذى قلب و لا تصح النية و الضمير العزم إلا على ذى خاطر يضطر معها فى الفعل الذى يغلب عليه إلى الإرادة له و النية فيه و العزم. و لما كان

الله تعالى يجل عن الحاجات و يستحيل عليه الوصف بالجوارح و الآلات و لا يجوز عليه الدواعى و الخطرات بطل أن يكون محتاجا فى الأفعال إلى القصود و العزمات و ثبت أن وصفه بالإرادة مخالف فى معناه لوصف العباد و أنها نفس فعله الأشياء و إطلاق الوصف بها عليه مأخوذ من جهة الاتباع دون القياس و بذلك جاء الخبر عن أئمة الهدى ع.

قال شيخنا المفيد رحمه الله أخبرنى أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن محمد بن يعقوب الكلينى عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال قلت لأبى الحسن ع أخبرنى عن الإرادة من الله تعالى و من الخلق فقال الإرادة من الخلق الضمير و ما يبدو لهم بعد كذا الفعل و الإرادة

الإرادة ص : ١٢

من الله تعالى إحداثه الفعل لا غير ذلك لأنه جل اسمه لا يهم و لا يتفكر قال شيخنا المفيد رحمه الله و هذا نص من مولانا ع على اختيارى فى وصف الله تعالى بالإرادة و فيه نص على مذهب لى آخر منها و هو أن إرادة العبد تكون قبل فعله و إلى هذا ذهب البلخى. و القول فى تقدم الإرادة للمراد كالقول فى تقدم القدرة للفعل و قول الإمام ع فى الخبر المتقدم أن الإرادة من الخلق الضمير و ما يبدو لهم بعد الفعل صريح فى وجوب تقدمها للفعل إذ كان الفعل يبدو من العبد بعدها و لو كان الأمر فيها على مذهب الجبائى لكان الفعل باديا فى حالها و لم يتأخر بدوه إلى الحال التى هى بعد حالها

فصل

اعلم أنا نذهب إلى أن الإرادة تتقدم المراد كتقدم القدرة للمقدور غير أن الإرادة موجبة للمراد و القدرة غير موجبة للمقدور و الإرادة لا تصلح إلا للمراد دون ضده و ليس كذلك القدرة لأنها تصلح أن يفعل الشىء بها فضده بدلا منه و الجميع أعراض لا يصح بقاؤها فصل معنى القول فى أن الإرادة موجبة

معنى قولنا فى الإرادة أنها موجبة هو أن الحى متى فعل الإرادة لشيء واجب وجود ذلك الشيء إلا أن يمنعه منه غيره فأما أن يمتنع هو من مراده فلا يصح ذلك. و من الدليل على صحة ما ذكرناه أنه قد ثبت تقدم الإرادة على المراد لاستحالة أن يريد الإنسان ما هو فاعل له فى حال فعله فيكون مريدا للموجود كما يستحيل أن يقدر على الموجود و إذا ثبت أن الإرادة متقدمة للمراد لم يخل أمر المريد لحركة يده من أن يكون واجبا وجودها عقيب الإرادة

الإرادة ص : ١٣

بلا فصل أو كان يجوز عدم الحركة فلو جاز ذلك لم يعدم إلا بوجود السكون منه بدلا منها. و لو فعل السكون فى الثانى من حال إرادته للحركة لم يخل من أن يكون فعله بإرادة له أو سهو عنه و محال أن يفعله بإرادة لأن ذلك موجب لاجتماع إرادتى الحركة و السكون لشيء واحد فى حالة واحدة و محال وجود السهو عن السكون فى حال إرادته للحركة فبطل جواز امتناع الإنسان مما قد فعل الإرادة له على ما شرحناه. مسألة إن قال قائل إذا كنتم تقولون أن إرادة الله تعالى لفعله هى نفس ذلك الفعل و لا تثبتون له إرادة غير المراد فما معنى قولكم أراد الله بهذا الخبر كذا و لم يرد كذا و أراد العموم و لم يرد الخصوص و أراد الخصوص و لم يرد العموم جواب قيل له معنى ذلك أن المقدور أخبارا كثيرة عن أشياء مختلفة فقولنا أراد كذا و لم يرد كذا فهو أنه فعل الخبر الذى هو عن كذا و لم يفعل الخبر الذى هو عن كذا و فعل القول الذى يفهم منه كذا و لم يفعل القول الذى يفهم منه كذا. و هذا كقولنا إنا إذا قلنا الحمد لله رب العالمين و أردنا القرآن كان ذلك قرآنا و إذا أردنا أن يكون منا شكرا لله تعالى كان كذلك. فإننا لسنا نريد أن قولنا واحدا ينقلب بإرادتنا قرآنا إن جعلناه قرآنا و يكون كلاما لنا إن جعلناه لنا كلاما و إنما معناه أن فى مقدورنا كلامين نفعل هذا مرة و هذا مرة. فإن قال فكان من قولكم أن الحمد لله رب العالمين إذا أردتم به القرآن يكون مقدورا لكم قلنا هذا كلام فى الحكاية و المحكى و له باب يختص به و سنورد إن

الإرادة ص : ١٤

شاء الله تعالى طرفا منه

فصل

فأما إرادة الله تعالى لأفعال خلقه فهي أمره لهم بالأفعال و وصفناه له بأنه يريد منه كذا إنما هو استعارة و مجاز و كذلك كل من وصف بأنه يريد لما ليس من فعله تعالى طريق الاستعارة و المجاز. و قول القائل يريد منى فلان المصير إليه إنما معناه أنه يأمر بذلك و يأخذني به و أرادني فلان على كذا أى أمرنى به فقولنا إن الله يريد من عباده الطاعة إنما معناه أنه يأمرهم بها. و قد تعبر بالإرادة عن التمنى و الشهوة مجازا و اتساعا فيقول الإنسان أنا أريد أن يكون كذا أى أتمناه و هذا الذى كنت أريده أى أشتهيه و تميل نفسى إليه. و الاستعارات فى الإرادات كثيرة. فأما كراهة الله تعالى للشيء فهو نهيه عنه و ذلك مجاز كالإرادة فاعلمه

القول فى الغضب و الرضا

و هاتان صفتان لا تصح حقيقتهما إلا فى المخلوق لأن الغضب هو نفور الطباع و الرضا ميلها و سكون النفس و وصف الله تعالى بالغضب و الرضا إنما هو مجاز و المراد بذلك ثوابه و عقابه فرضاه وجود ثوابه و غضبه وجود عقابه فإذا قلنا رضى الله عنه فإنما نعى أثابه الله تعالى و إذا قلنا غضب الله عليه فإننا نريد عاقبه الله فإذا علق الغضب و الرضا بأفعال العبد فالمراد بهما الأمر و النهى نقول إن الله يرضى الطاعة بمعنى يأمر بها و يغضب من المعصية بمعنى ينهى عنها

الإرادة ص : ١٥

القول فى الحب و البغض

و هاتان الصفتان إنما يوصف الله تعالى بها مجازا لأن المحبة فى الحقيقة ارتياح النفس إلى المحبوب و البغض ضد ذلك من الانزعاج و النفور الذى لا يجوز على التقديم فإذا قلنا إن الله عز و جل يحب المؤمن و يبغض الكافر فإنما نريد بذلك أنه

ينعم على المؤمن و يعذب الكافر و إذا قلنا إنه يحب من عباده الطاعة و يبغض منهم المعصية جرى ذلك مجرى الأمر و النهى أيضا على المعنى الذى قدمنا فى الغضب و الرضا

القول فى سميع و بصير

اعلم أن السميع فى الحقيقة هو مدرک الأصوات بحاسة سمعه و البصير هو مدرک المبصرات بحاسة بصره و هاتان صفتان لا يقال حقيقتهما فى الله تعالى لأنه يدرك جميع المدركات بغير حواس و لا آلات فقولنا إنه سميع إنما معناه لا تخفى عليه المسموعات و قولنا بصير معناه أنه لا يغيب عنه شيء من المبصرات و أنه يعلم هذه الأشياء على حقائقها بنفسه لا بسمع و بصر و لا بمعان زائدة على معنى العلم. و قد جاءت الآثار عن الأئمة ع بما يؤكد ما ذكرناه.

قال شيخنا المفيد رضوان الله عليه أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن محمد بن عيسى عن حماد عن حريز عن محمد بن سالم الثقفي قال قلت لأبي جعفر الباقر ع إن الإرادة ص : ١٦

قوما من أهل العراق يزعمون أن الله تعالى سميع بصير كما يعقلونه قال فقال تعالى الله تعالى إنما يعقل ذلك فيما كان بصفة المخلوق و ليس الله تعالى كذلك و بإسناده عن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد مرسلا عن الرضا ع أنه قال فى كلام له فى التوحيد و صفة الله تعالى كذلك بأنه سميع أخبار بأنه تعالى لا يخفى عليه شيء من الأصوات و ليس هذا على معنى تسميتنا بذلك و كذلك قولنا بصير فقد جمعنا الاسم و اختلف فينا المعنى و قولنا أيضا مدرک و راء لا يتعدى به معنى عالم فقولنا راء معناه عالم بجميع المرئيات و قولنا مدرک معناه عالم بجميع المدركات فهذه صفات المجازات و الحمد لله